سورة الزلزلة

وهي ثمان آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

ههنا مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوهًا: **أحدها**: أنه تعالى لما قال: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البينة: ٨] فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنًا فيه، كما قال: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] **وثانيها**: أنه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزل؟! نظير قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ثم ذكر الطائفتين فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٧] ثم جمع بينهم في آخر السورة فذكر الذرة من الخير والشر.

المسألة الثانية: في قوله: ﴿إِذَا﴾ بحثان: **أحدهما**: أن لقائل أن يقول: ﴿إِذَا﴾ للوقت فكيف وجه البداية بها في أول السورة؟ **وجوابه من وجوه: الأول**: كانوا يسألونه متى الساعة؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ كأنه تعالى قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكني أعينه بحسب علاماته. **الثاني**: أنه تعالى أراد أن يخبر المكلف أن الأرض تحدث وتشهد يوم القيامة مع أنها في هذه الساعة جماد فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ .

البحث الثاني: قالوا كلمة: (إنْ) في المجوز، و(إذا) في المقطوع به، تقول: (إن دخلتِ الدار فأنت طالق) لأن الدخول يجوز، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعًا لا تقول: (إن) بل تقول: إذا (نحو إذا) جاء غد فأنتِ طالق لأنه يوجد لا محالة. هذا هو الأصل، فإن استعمل على خلافه فمجاز، فلما كان الزلزال مقطوعًا به قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ .

المسألة الثالثة: قال الفراء: الزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم، وقد قرئ بهما، وكذلك الوسواس هو الاسم، أي اسم الشيطان الذي يوسوس إليك، والوسواس بالكسر المصدر، والمعنى: حُركت حركةِ شديدة، كما قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] وقال

قوم: ليس المراد من زُلزلت حُركت، بل المراد: تحركت واضطربت، والدليل عليه أنه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر، ولأن هذا أدخل في التهويل كأنه تعالى يقول: إن الجماد ليضطرب لأوائل القيامة، أما آن لك أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك؟ ويقرب منه: ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]واعلم أن (زل) للحركة المعتادة، و(زلزل) للحركة الشديدة العظيمة؛ لما فيه من معنى التكرير، وهو كالصرصر في الريح، ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

المسألة الرابعة: قال مجاهد: المراد من الزلزلة المذكورة في هذه الآية النفخة الأولى، كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]أي تزلزل في النفخة الأولى، ثم تزلزل ثانيًا فتُخرج موتاها وهي الأثقال، وقال آخرون: هذه الزلزلة هي الثانية بدليل أنه تعالى جعل من لوازمها أنها تُخرج الأرض أثقالها، وذلك إنما يكون في الزلزلة الثانية.

المسألة الخامسة: في قوله: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بالإضافة وجوه: **أحدها**:القدر اللائق بها في الحكمة، كقولك: أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة. **والثاني**: أن يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه، والمعنى أنه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل. **والثالث**:زلزالها الموعود أو المكتوب عليها إذا قدرت تقدير الحي، تقريره ما روي أنها تزلزل من شدة صوت إسرافيل لما أنها قُدرت تقدير الحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾

ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: في الأثقال قولان: **أحدهما**:أنه جمع ثقل وهو متاع البيت ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النحل: ٧]جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها، قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها. وقيل: سمي الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها إذا كانوا فوقها. ثم قال: المراد من هذه الزلزلة: الزلزلة الأولى، يقول: أخرجت الأرض أثقالها، يعني الكنوز فيمتلئ ظهر الأرض ذهبًا ولا أحد يلتفت إليه، كأن الذهب يصيح ويقول: أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي؟! أو تكون الفائدة في إخراجها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥]ومن قال: المراد من هذه الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة، قال: تخرج الأثقال يعني الموتى أحياء كالأم تلده حيًّا، وقيل: تلفظه الأسرار، ولذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فتشهد لك أو عليك.

المسألة الثانية: أنه تعالى قال في صفة الأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]ثم صارت بحال ترميك، وهو تقرير لقوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ [عبس: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤﴾

أما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾، **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: ما لها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن، أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات.

المسألة الثانية: قيل: هذا قول الكافر وهو كما يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] وقيل: بل هو عام في حق المؤمن والكافر، أي الإنسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة - يقول: ما لها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب، لِما يرى من العجائب التي لم تسمع بها الآذان. ولا تطلّق بها لسان، ولهذا قال الحسن: إنه للكافر والفاجر معًا.

المسألة الثالثة: إنما قال: ﴿مَا لَهَا﴾ على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه، كأنه يقول: يا نفس ما للأرض تفعل ذلك؟! يعني يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك. فالكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: ٣٤].

أما قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ فاعلم أن ابن مسعود قرأ: (تنبئ أخبارها) وسعيد بن جبير (تنبِّئ) **ثم فيه سؤالات:**

الأول: أين مفعولا ﴿تُحَدِّثُ﴾؟ **الجواب:** قد حذف أولهما والثاني أخبارها، وأصله تحدث الخلق أخبارها، إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيمًا.

السؤال الثاني: ما معنى تحديث الأرض؟ قلنا: **فيه وجوه: أحدها:** -وهو قول أبي مسلم- يومئذٍ يتبين لكل أحد جزاء عمله، فكأنها حدثت بذلك، كقولك: (الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة) فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انقضت وأن الآخرة قد أقبلت. **والثاني:** -وهو قول الجمهور- أن الله تعالى يجعل الأرض حيوانًا عاقلًا ناطقًا ويعرفها جميع ما عمل أهلها، فحينئذٍ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى، قال عليه السلام: «**إِنَّ الْأَرْضَ لَتُخْبِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ عَمَلٍ عُمِلَ عَلَيْهَا**» ثم تلا هذه الآية، وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطًا لقبول الحياة، فالأرض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق، والمقصود كأن الأرض تشكو من العصاة وتشكر من أطاع الله، فنقول: إن فلانًا صلى وزكى وصام وحج فيَّ، وإن فلانًا كفر وزنى وسرق وجار، حتى يود الكافر أن يساق إلى النار، وكان علي عليه السلام إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول: لتشهدن أني ملأتك بحق وفرغتك بحق. **والقول الثالث:** -وهو قول المعتزلة- أن الكلام يجوز خلقه في الجماد، فلا يبعد أن

يخلق الله تعالى في الأرض حال كونها جمادًا أصواتًا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى .

السؤال الثالث: (إذا) و(يومئذ) ما ناصبهما؟ **الجواب:** (يومئذ) بدل من إذا وناصبهما تُحَدث .

السؤال الرابع: لفظ التحديث يفيد الاستئناس وهناك لا استئناس فما وجه هذا اللفظ؟ **الجواب:** أن الأرض كأنها تبث شكواها إلى أولياء الله وملائكته .

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾

أما قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ، **ففيه سؤالان:**

السؤال الأول: بم تعلقت الباء في قوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟ **الجواب:** بتُحَدث ، ومعناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها .

السؤال الثاني: لِمَ لم يقل أوحى إليها؟ **الجواب:** فيه وجهان : **الأول:** قال أبو عبيدة : ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إليها ، وأنشد العجاج :

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ[1]

الثاني: لعله إنما قال (لها) أي فعلنا ذلك لأجلها حتى تتوسل الأرض بذلك إلى التشفي من العصاة .

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ الصدور ضد الورد ، فالوارد : الجائي والصادر : المنصرف ، وأشتاتًا متفرقين ، فيحتمل أن يردوا الأرض ، ثم يصدرون عن الأرض إلى عرصة القيامة ، ويحتمل أن يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها إلى موضع الثواب والعقاب ، فإن قوله : ﴿أَشْتَاتًا﴾ أقرب إلى الوجه الأول ولفظة الصدر أقرب إلى الوجه الثاني ، وقوله : ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أقرب إلى الوجه الأول لأن رؤية أعمالهم مكتوبة في الصحائف أقرب إلى الحقيقة من رؤية جزاء الأعمال ، وإن صح أيضًا أن يحمل على رؤية جزاء الأعمال ، وقوله : ﴿أَشْتَاتًا﴾ فيه وجوه : **أحدها:** أن بعضهم يذهب إلى الموقف راكبًا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه : هذا ولي الله ، وآخرون يُذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال والمنادي ينادي بين يديه : هذا عدو الله . **وثانيها:** ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي كل فريق مع شكله ، اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني . **وثالثها:** أشتاتًا من أقطار الأرض من كل ناحية ، ثم إنه سبحانه ذكر المقصود وقال : ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ قال بعضهم : ليروا صحائف أعمالهم ؛ لأن الكتابة يوضع بين يدي الرجل فيقول : هذا طلاقك وبيعك هل تراه والمرئي وهو

---

(١) تقدمت ترجمة العجاج .

الكتاب. وقال آخرون: ليروا جزاء أعمالهم، وهو الجنة أو النار، وإنما أوقع اسم العمل على الجزاء لأنه الجزاء وفاق، فكأنه نفس العمل بل المجاز في ذلك أدخل من الحقيقة، وفي قراءة النبي ﷺ: ﴿لِيُرَوْا﴾ بالفتح.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي زنة ذرة، قال الكلبي: الذرة أصغر النمل. وقال ابن عباس: إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة، فليس من عبد عمل خيرًا أو شرًّا قليلاً أو كثيرًا إلا أراه الله تعالى إياه.

المسألة الثانية: في رواية عن عاصم: (يُرَهُ) برفع الياء وقرأ الباقون: (يَرَهُ) بفتحها وقرأ بعضهم: (يَرَهْ) بالجزم.

المسألة الثالثة: في الآية إشكال وهو أن حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة، إما ابتداء وإما بسبب اجتناب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذرة من الخير والشر؟

واعلم أن المفسرين أجابوا عنه من وجوه: أحدها: قال أحمد بن كعب القرظي: فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شيء. وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي أنه عليه السلام قال لأبي بكر: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ اللَّهُ لَكَ مَثَاقِيلَ الْخَيْرِ حَتَّى تُوَفَّاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١) **وثانيها:** قال ابن عباس: ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًّا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته. **وثالثها:** أن حسنات الكافر وإن كانت محبطة بكفره ولكن الموازنة معتبرة فتقدر تلك الحسنات انحبطت من عقاب كفره، وكذا القول في الجانب الآخر فلا يكون ذلك قادحًا في عموم الآية. **ورابعها:** أن تخصص عموم قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ونقول: المراد فمن يعمل

---

(١) **ضعيف:** رواه العقيلي في (الضعفاء الكبير) (٩/ ١٦٦) حديث رقم (٢١٥١) من طريق الهيثم بن الربيع قال: حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: بينا أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ . . . فذكره، ورواه يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء: بينا أبو بكر قاعد مع رسول الله ﷺ . . . فذكره. وقال حماد بن زيد، عن أيوب، قال: وجدت في بعض كتب أبي قلابة، وقال وهيب والثقفي، عن أيوب قال: وجدت في كتاب أبي قلابة، عن أبي إدريس، وحديث وهيب والثقفي أَوْلى، وأورده الهيثمي في (المجمع) (٧/ ٢٩٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن سهل، والظاهر أنه الوشاء وهو ضعيف.

من السعداء مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرة شرًّا يره.

المسألة الرابعة: لقائل أن يقول: إذا كان الأمر إلى هذا الحد فأين الكرم؟**والجواب**: هذا هو الكرم؛ لأن المعصية وإن قلَّت ففيها استخفاف، والكريم لا يحتمله، وفي الطاعة تعظيم وإن قل فالكريم لا يضيعه، وكأن الله سبحانه يقول: لا تحسب مثقال الذرة من الخير صغيرًا، فإنك مع لؤمك وضعفك لم تضيع مني الذرة، بل اعتبرتها ونظرت فيها، واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركبًا به وصلت إليَّ، فإذا لم تضيع ذرتي أفأضيع ذرتك؟! ثم التحقيق أن المقصود هو النية والقصد، فإذا كان العمل قليلاً لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب، وإن كان العمل كثيرًا والنية دائرة فالمقصود فائت.

ومن ذلك ما روى عن كعب: لا تحقروا شيئًا من المعروف، فإن رجلاً دخل الجنة بإعارة إبرة في سبيل الله، وإن امرأة أعانت بحبة في بناء بيت المقدس فدخلت الجنة. وعن عائشة: (كان بَيْنَ يَدَيْهَا عِنَبٌ فَقَدَّمَتْهُ إِلَى نِسْوَةٍ بِحَضْرَتِهَا، فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَتْ لَهُ بِحَبَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعِنَبِ، فَضَحِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ فِيمَا تَرَوْنَ مَثَاقِيلَ الذَّرَّةِ! وَتَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ) ولعلها كان غرضها التعليم، وإلا فهي كانت في غاية السخاوة. روي (أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَعَثَ إِلَيْهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةُ فُطُورِي هَلُمِّي. فَجَاءَتْ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا أَمْسَكْتِ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِي بِهِ لَحْمًا نُفْطِرُ عَلَيْهِ؟! فَقَالَتْ: لَوْ ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ)[1] وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، وإنما نؤجر على ما نعطي! وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، ويقول: لا شيء عليَّ من هذا إنما الوعيد بالنار على الكبائر. فنزلت هذه الآية ترغيبًا في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر، وتحذيرًا من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكبر، ولهذا قال عليه السلام: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[2].

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه ابن سعد في (الطبقات) (٨/ ٦٦) من طريق هشام بن عروة عن ابن المنكدر عن أم ذرة، وفيها أن ابن الزبير بعث بالمائة ألف إلى عائشة ... به، وأم ذرة قال ابن حجر في التقريب: مقبولة وقال في (تهذيب التهذيب) (١٢/ ٤٦٧) وذكرها ابن حبان في (الثقات) وقال العجلي: تابعية مدنية ثقة. اهـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الزكاة) باب: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) (٣/ ٣٤٧) حديث رقم (١٤١٧) ومسلم في كتاب (الزكاة) باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣/ ٦٨/ ٧٠٤) جميعًا من طريق عدي بن حاتم ... به.

سورة «الزَّلْزَلَة»

مدنيةٌ في قول ابنِ عباسٍ وقتادة[1]. ومكِّيةٌ في قول ابنِ مسعودٍ وعطاءٍ وجابر[2]. وهي تسعُ آياتٍ.

قال العلماء: وهذه السورةُ فَضْلُها كثير[3]، وتحتوي على عظيم. رَوَى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ له بنصفِ القرآن. ومَن قرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ عُدِلَتْ له بربعِ القرآن، ومَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ عُدِلَتْ له بثُلُثِ القُرْآن». قال: حديثٌ غريبٌ، وفي الباب عن ابن عباس[4].

ورُوِي عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربعَ مرَّاتٍ، كان كَمَن قرأ القرآنَ كلَّه»[5].

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لمَّا نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بكى أبو بكر، [فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة] فقال النبيُّ ﷺ: «لولا أنَّكم تُخطِئُون وتُذْنِبون ويغفِرُ اللهُ لكم، لَخَلَق أمةً يُخطئون ويُذْنبون فيغفرُ لهم، إنَّه هو الغفورُ الرَّحيم»[6].

---

(١) أخرجه عنهما ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٩ ، وقول ابن عباس أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٤ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٥٣ .

(٢) زاد المسير ٩/ ٢٠١ .

(٣) في (ظ): كبير.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٣)، وحديث أنس في إسناده الحسن بن سَلم، وهو مجهول كما ذكر الحافظ في التقريب. وحديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضاً (٢٨٩٤) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان بن المغيرة ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٥) أخرجه الثعلبي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٧ ، قال الحافظ: لكنه من رواية أبي القاسم الطائي، وهو ساقط. اهـ. وله شاهد من حديث أنس ﷺ عند أحمد (١٢٤٨٨)، وفي إسناده سلمة بن وردان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٨ ، والطبراني (٨٧ - قطعة من الجزء ١٣)، والواحدي في أسباب النزول =

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

أي: حرِّكَتْ من أَصْلِها. كذا رَوى عِكْرمةُ عن ابن عباس(١)، وكان يقول: في النفخة الأولى يزلزلُها ـ وقاله مجاهدٌ ـ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦] ثم تُزلْزَلُ ثانيةً فتُخرِجُ مَوْتاها، وهي الأثقال(٢). وذُكِر المصدرُ للتأكيد، ثم أضيف إلى الأرض، كقولك: لأُعطينَّك عَطِيَّتك، أي: عَطيَّتي لك. وحَسُنَ ذلك لموافقة رؤوس الآيِ بعدها.

وقراءةُ العامَّةِ بكسر الزاي من الزلزال، وقرأ الجحدريُّ وعيسى بنُ عمر بفَتْحِها(٣)، وهو مصدرٌ أيضاً، كالوَسواس والقَلقال والجَرْجار. وقيل: الكسرُ المصدرُ، والفتحُ الاسم(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض، فهو ثِقلٌ لها. وإذا كان فوقها، فهو ثِقلٌ عليها(٥). وقال ابن عباس ومجاهد: «أثقالها»: موتاها(٦)،

= ص٤٩٦ ، وما سلف بين حاصرتين من هذه المصادر. وأخرج مسلم (٢٧٤٨) وأحمد (٢٣٥١٥) من حديث أبي أيوب ﷺ: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله قوماً يذنبون، فيغفرُ لهم».

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٠ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ عن مجاهد.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧ .

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٣ .

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

(٦) أخرج قولهما الطبري ٢٤/ ٥٥٩ .

تُخرجُهم في النفخة الثانية، ومنه قيل للجن والإنس: الثَّقَلان. وقالت الخنساء:

أَبَعْدَ ابنِ عمرٍو مِن آلِ الشَّرِيــــدِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَها[(١)]

تقول: لمَّا دُفن عمرو صار حِليةً لأهل القبور من شرفه وسُؤْدُدِه. وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ قال: كانت العربُ تقول إذا كان الرجلُ سفَّاكاً للدماء: كان ثِقلاً على ظهر الأرض، فلمَّا مات حَطَّتِ الأرض عن ظهرها ثِقْلَها.

وقيل: «أَثْقَالَها»: كنوزَها، ومنه الحديثُ: «تَقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ من الذَّهب والفضة...»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: ابنُ آدم الكافر. فروى الضحاك عن ابن عباس قال: هو الأسود بنُ عبد الأسد. وقيل: أراد كلَّ إنسانٍ يشاهدُ ذلك عند قيامِ الساعةِ في النفخة الأولى؛ مِن مؤمن وكافر. وهذا قولُ مَن جَعَلَها في الدنيا من أشراط الساعة؛ لأنَّهم لا يعلمون جميعاً [أنها] مِن أشراط الساعةِ في ابتداءِ أمرِها، حتى يتحقَّقوا عُمومَها؛ فلذلك سأل بعضُهم بعضاً عنها. وعلى قولِ مَن قال: إنَّ المراد بالإنسان الكفارُ خاصةً، جعلها زلزلةَ القيامة؛ لأنَّ المؤمن معترفٌ بها، فهو لا يَسأل عنها، والكافر جاحدٌ لها، فلذلك يَسأل عنها[(٣)].

ومعنى ﴿مَا لَهَا﴾ أي: مالَها زُلْزِلتْ. وقيل: مالها أَخْرَجَتْ أثقالها، وهي كلمةُ تعجُّبٍ[(٤)]، أي: لأيِّ شيءٍ زُلزلت. ويجوزُ أن يُحييَ الله الموتى بعد وقوعِ النفخةِ

(١) ديوان الخنساء ص ١٢٠ والكامل للمبرد ٣/ ١٤١٥، والبيت من قصيدة ترثي بها أخاها معاوية بن عمرو، وقيل: ترثي بها صخراً. قال المبرد: حلَّت من الحَلْي، تقول: زينت به الأرض الموتى.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة ﷺ. والأُسْطُوان بضم الهمزة والطاء: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لِعظمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٩٨.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١٩، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(م): تعجيب.

الأولى، ثم تتحرَّكُ الأرض فتُخرج المَوْتَى وقد رأوا الزلزلةَ وانشقاقَ الأرضِ عن الموتى أحياء، فيقولون من الهول: مالَهَا؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ «يومئذٍ» منصوبٌ بقوله «إذا زلزلت». وقيل: بقوله: «تُحدِّثُ أخْبارها»، أي: تُخبر الأرضُ بما عُمِل عليها من خيرٍ أو شرٍّ يومئذٍ. ثم قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: مِن قول الإنسان، أي: يقولُ الإنسان: مالَها تحدِّث أخبارها، متعجِّبًا.

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرُون ما أخبارُها ـ قالوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَم، قال: فإنَّ أخبارها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها، تقول: عَمِل يومَ كذا، كذا وكذا. قال: فَهَذِه أَخْبارُها». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريب[1].

قال الماوَرْديُّ[2]: قولُه: «يومَئذٍ تُحَدِّث أخبارَها»: فيه ثلاثةُ أقاويل:

أحدها: «تُحَدِّثُ أخبارَها» بأعمالِ العبادِ على ظهرها؛ قاله أبو هريرةَ، ورواه مرفوعاً[3]. وهو قولُ مَن زعم أنها زَلْزلةُ القيامة.

الثاني: تُحَدِّث أخبارَها بما أَخْرَجتْ من أثقالها؛ قاله يحيى بنُ سلام. وهو قولُ مَن زَعم أنَّها زَلزلةُ أشراطِ الساعة[4].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٣)، وقوله: غريب، ليس في (م) ومطبوع سنن الترمذي، والمثبت من النسخ الخطية وتحفة الأشراف ٩/ ٥٠١ ، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦ . وأخرجه أيضاً أحمد (٨٨٦٧)، وسلف ص١٨٢-١٨٣ من هذا الجزء.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٣١٩ .

(٣) سلف قريباً.

(٤) سقط هذا القول من مطبوع النكت والعيون.

قلت: وفي هذا المعنى حديثٌ رواه ابن مسعودٍ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا كان أجَلُ العبدِ بأرضٍ، أَوْثَبَتْه الحاجة إليها، حتى إذا بلغ أَقْصَى أثرِه قَبَضَه الله، فتقولُ الأرض يومَ القيامة: رَبِّ هذا ما استَوْدَعْتَني». أخرجه ابن ماجه في سُنَنه. وقد تقدَّم[1].

الثالث: أنَّها تُحَدِّثُ بقيام الساعةِ إذا قال الإنسان: مالَها؟ قاله ابن مسعود[2]. فتخبرُ أنَّ أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرةِ قد أتَى. فيكونُ ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم، ووعيدًا للكافر، وإنذارًا للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدها: أنَّ الله تعالى يَقْلِبها حيواناً ناطقًا؛ فتتكلَّمُ بذلك.

الثاني: أنَّ الله تعالى يُحْدِث فيها الكلام.

الثالث: أنه يكون منها بيانٌ يقومُ مقامَ الكلام[3].

قال الطبريُّ[4]: تُبين أخبارها بالرجَّةِ والزلزلةِ وإخراجِ الموتى. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: إنَّها تحدِّث أخبارَها بوحيِ اللهِ «لها»، أي: إليها. والعربُ تضعُ لامَ الصِّفةِ موضعَ «إلى»؛ قال العجَّاج يَصِفُ الأرض:

أوْحَى لهـا القَرَارَ فاستَقرَّتِ وشَدَّهـا بالرَّاسياتِ الثُّبَّتِ[5]

وهذا قول أبي عبيدة: «أَوْحَى لها» أي: إليها[6].

(١) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة لقمان، وهو في سنن ابن ماجه (٤٢٦٣).

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/٥٥٨ عن سعيد قال: زُلزلت الأرض على عهد عبد الله، فقال لها: مالَكِ؟ أمَا إنها لو تكلَّمت قامت الساعة. قال الطبري ص ٥٦٠ : وتحديثُها أخبارَها على القول الذي ذكرناه عن عبد الله ابن مسعود، أن تتكلَّم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحَى إليَّ به، وأذن لي فيه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠ .

(٤) في التفسير ٢٤/ ٥٦٠ .

(٥) ديوان العجاج ص ٢٦١ ، وسلف ٥/ ١٣٠ .

(٦) زاد المسير ٩/ ٢٠٤ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٠ ، وبنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

وقيل: «أوْحَى لها»، أي: أَمَرَها؛ قاله مجاهد[١]. وقال السدّيُّ: «أوْحَى لها»، أي: قال لها[٢]. وقيل: سخَّرها.

وقيل: المعنى: يومَ تكونُ الزلزلةُ، وإخراجُ الأرضِ أثقالَها، تحدّثُ الأرضُ أخبارَها؛ ما كان عليها من الطاعات والمعاصي، وما عُمِلَ على ظهرِها من خيرٍ وشرٍّ. ورُوي ذلك عن الثوريِّ وغيرِه[٣].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرقًا؛ جمع شَتٍّ. قيل: عن موقف الحساب؛ فريقٌ يأخذ جهةَ اليمين إلى الجنة، وفريقٌ آخرُ يأخذ جهةَ الشمالِ إلى النار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وقيل: يرجعون عن الحساب بعد فَراغِهم من الحساب. ﴿أَشْتَاتًا﴾ يعني فِرقًا فِرقًا. ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ يعني ثوابَ أعمالِهم. وهذا كما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما مِن أحدٍ يومَ القيامةِ إلَّا وَيَلُومُ نفسَه، فإنْ كان مُحسِناً يقولُ: لم لا ازدَدْتُ إحساناً؟ وإن كان غيرَ ذلك يقولُ: لم لا نَزَعْتُ عن المعاصي؟» وهذا عند مُعاينةِ الثوابِ والعقاب[٤].

وكان ابن عباس يقول: «أشْتاتًا» متفرّقين على قَدْرِ أعمالِهم؛ أهلُ الإيمانِ على حِدَة، وأهلُ كلِّ دينٍ على حِدَة[٥].

وقيل: هذا الصُّدور، إنَّما هو عند النشور؛ يَصْدُرون أشتاتاً من القبور، فيُصار بهم إلى موقف الحساب، ليُروا أعمالَهم في كتبهم، أو لِيُروا جزاءَ أعمالِهم؛ فكأنهم وَرَدوا القبورَ فدُفِنوا فيها، ثم صَدَروا عنها. والوارد: الجائي. والصادر: المُنْصَرِف.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦١.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٠ - ٥٠١.

(٥) بنحوه في الوسيط ٤/ ٥٤٢.

«أشتاتا» أي: يُبعثون من أقطار الأرض.

وعلى القول الأول[١] فيه تقديمٌ وتأخير؛ مَجازُه: تحدِّث أخبارها، بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها، ليُرَوْا أعمالَهم. واعترَض قولُه: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُر الناسُ أَشْتَاتًا» متفرِّقين عن موقف الحساب[٢].

وقراءة العامة: «لِيُرَوا» بضمِّ الياءِ، أي: لِيُريهم اللهُ أعمالَهم. وقرأ الحسن والزهريُّ وقتادةُ والأعرجُ ونصر بنُ عاصم وطلحةُ بفَتْحِها، وروي ذلك عن النبيِّ ﷺ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

فيه ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ كان ابن عباس يقول: مَن يعمَلْ مِن الكفار مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ في الدنيا، ولا يُثابُ عليه في الآخرة، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ عُوقب عليه في الآخرة مع عقابِ الشرك، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ من المؤمنين يَرَهُ في الدنيا، ولا يعاقَب عليه في الآخرة إذا مات، ويُتجاوَزُ عنه، وإن عمل مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ يُقْبلْ منه، ويضاعفْ له في الآخرة[٤]. وفي بعض الحديث: الذرَّةُ لا زِنةَ لها[٥].

وهذا مَثَلٌ ضَرَبه الله تعالى: أنَّه لا يُغْفِلُ مِن عملِ ابنِ آدمَ صغيرةً ولا كبيرة. وهو مِثْلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقد تقدَّم الكلامُ هناك في

---

(١) يعني القول بأن ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معناه: عن موقف الحساب.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤، وزاد المسير ٩/ ٢٠٤.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١١.

(٤) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، والرازي ٣٢/ ٦١.

(٥) سلف ٦/ ٣٢١ عن يزيد بن هارون قوله.

الذرّ، وأنَّه لا وزنَ له[١].

وذَكَر بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ الذرَّ: أن يضرب الرجل بيده على الأرض، فما عَلِق بها من التراب فهو الذَّرُّ. وكذا قال ابن عباس: إذا وضعتَ يدك على الأرض ورَفَعْتَها، فكلُّ واحدٍ ممَّا لزق به من التراب ذَرَّة[٢].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: فَمَن يَعْمَلْ مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ من كافر، يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خيرٌ. ومَن يعمل مثقالَ ذرّةٍ من شرٍّ من مُؤْمنٍ، يرى عُقوبتَه في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرٌّ[٣]. دليلُه ما رواه العلماءُ الأثباتُ من حديثِ أنس: أنَّ هذه الآية نزلت على النبيِّ ﷺ وأبو بكر يأكل، فأمسك وقال: يا رسول الله، وإنا لنُرَى ما عَمِلْنا من خيرٍ وشرٌّ[٤]؟ قال: «أرأيتَ ما تَكْره[٥]، فهو مثاقيلُ ذرِّ الشرِّ، ويُدَّخر لكم مثاقيلُ ذَرِّ الخير حتى تُعْطَوْه يومَ القِيامة». قال أبو إدريس: إنَّ مِصْداقَه من[٦] كتاب الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠][٧].

وقال مقاتل: نزلت في رجلين، وذلك أنَّه لمَّا نزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدُهم يأتيه السائل، فيَسْتَقِلُّ أن يعطِيه التمرةَ والكِسْرةَ والجوزة. وكان الآخَر يتهاوَنُ بالذَّنْبِ اليسير، كالكَذبة والغِيبة والنظرة، ويقول: إنَّما أَوْعَدَ الله النارَ على الكبائر، فنزلت ترغِّبهم في القليل من الخير أن يُعْطُوه؛ فإنَّه يوشِكُ أن

(١) ٦/ ٣٢١ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٦١ ، وأخرجه هناد في الزهد (١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤ .

(٤) في (ظ): أو شر.

(٥) في (م): ما رأيت مما تكره.

(٦) في (م): في.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤ - ٥٦٦ ، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٩ .

يكثر، وتحذِّرُهم اليسيرَ من الذنب، فإنَّه يوشِكُ أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جبير. والإِثْمُ الصغير في عين صاحبه يومَ القيامة أعظمُ من الجبال، وجميعُ محَاسِنِه أقلُّ في عينه من كلِّ شيء[١].

الثانية: قراءةُ العامَّةِ: «يَرَه» بفتح الياء فيهما. وقرأ الجَحْدريُّ والسُّلَميُّ وعيسى بنُ عمر وأبان عن عاصم: «يُرَهْ» بضمِّ الياء[٢]، أي: يُريه اللهُ إياه. والأُولى الاختيارُ؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٠]. وسكَّن الهاءَ في قوله: «يَرَه» في الموضعين هشام[٣]. وكذلك رواه الكسائيُّ عن أبي بكر[٤] وأبي حَيْوة والمغيرة. واختلس يعقوبُ والزهريُّ والحجدرِيُّ وشيبة[٥]. وأَشْبَعَ الباقون.

وقيل: «يَرَه»، أي: يرى جزاءَه؛ لأنَّ ما عَمِلَه قد مضى وعُدِمَ فلا يُرَى. وأنشدوا:

إنَّ مَن يَعْتدي ويَكْسِبُ إثْماً ... وَزْنَ مِثْقالِ ذَرَّةٍ سَيَرَاهُ
ويُجَازَى بفعله الشرَّ شرًّا ... وبفِعْلِ الجميل أيضاً جزاه
هكذا قولُه تَبارَكَ رَبِّي ... في إذا زُلزلتْ وجَلَّ ثَنَاهُ

الثالثة: قال ابن مسعود: هذه أحكمُ آيةٍ في القرآن[٦]، وصَدَق. وقد اتَّفق العلماءُ على عموم هذه الآيةِ، القائلون بالعموم ومَن لم يقل به. وروي [عن][٧] كعبِ الأحبارِ أنه قال: لقد أنزل الله على محمدٍ آيتين أحْصَتَا ما في التوراة والإنجيل والزَّبور

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، دون قوله: وقاله سعيد بن جبير. وأخرجه عن سعيد بن جبير ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١ .

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢ . وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم بفتح الياء.

(٣) السبعة ص ٦٩٤ ، والتيسير ص ٢٢٤ .

(٤) ذكرها عن الكسائي عن أبي بكر ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ ، والمشهور عنهما: «يرهُ» بإشباع الضم.

(٥) النشر ١/ ٣١١ عن يعقوب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، وأخرجه مطولاً عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

والصُّحُف: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١].

قال الشيخ أبو مَدْين في قوله تعالى: «فمن يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيرًا يره» قال: في الحالِ قبلَ المآل[٢].

وكان النبيُّ ﷺ يسمِّي هذه الآيةَ: الآية الجامعة الفاذَّة، كما في الصَّحيح لمَّا سُئل عن الحُمُر وسكَتَ عن البغال، والجوابُ فيهما واحدٌ؛ لأنَّ البغل والحمارَ لا كَرَّ فيهما ولا فَرَّ، فلمَّا ذَكَر النبيُّ ﷺ ما في الخيل من الأجر الدَّائم، والثوابِ المستمرِّ، سأل السائلُ عن الحُمُر؛ لأنَّهم لم يكن عندهم يومئذٍ بَغْلٌ، ولا دَخَل الحجازَ منها إلَّا بغلةُ النبيِّ ﷺ «الدُّلْدُل»، التي أهداها له المقوقِس، فأفتاه في الحَمِير بعمومِ الآية، وأنَّ في الحمار مثاقيلَ ذرٍّ كثيرةً؛ قاله ابنُ العربيِّ[٣].

وفي «الموطأ»: أنَّ مِسْكيناً استَطْعَم عائشةَ أمَّ المؤمنين وبين يديها عِنَب، فقالت لإنسان: خُذْ حبةً فأعْطِه إياها. فجعل ينظرُ إليها ويَعْجَبُ، فقالت: أتَعْجَبُ! كم ترى في هذه الحَبةِ من مثقال ذرّة[٤].

وروي عن سعد بن أبي وَقَّاص: أنَّه تَصدَّق بتمرتين، فقبض السائلُ يدَه، فقال للسائل: ويَقْبلُ الله منَّا مثاقيلَ الذرّ، وفي التمرتين مثاقيلُ ذرٍّ كثيرة[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣ ، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

(٢) من قوله: قال الشيخ أبو مدين، إلى هذا الموضع من (م) وليس في النسخ الخطية. وأبو مدين لعله شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، توفي في نحو سنة (٥٩٠هـ). وهناك شيخ آخر يكنى أبا مدين، وهو شعيب بن يحيى بن أحمد القيرواني ثم الإسكندراني التاجر، توفي سنة (٦٤٥هـ). السير ٢١/ ٢١٩ و٢٣/ ٢٦٨ .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٦٠ ، والحديث الذي ذكره أخرجه أحمد (٧٥٦٣)، والبخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة ﷺ، وسلفت قطعة منه ٥/ ٥٢ .

(٤) الموطأ ٢/ ٩٩٧ وفيه: قال مالك: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة...، وقد أخرجه بنحوه متصلاً أبو عبيد في الأموال (٩١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٤٠٨ .

وروى المُطَّلبُ بن حَنْطَب: أنَّ أعرابيّاً سمع النبيَّ ﷺ يَقرؤُها، فقال: يا رسولَ الله، أمِثْقالُ ذرّةٍ! قال: «نعم» فقال الأعرابيُّ: واسَوْأتاه! مِراراً، ثم قام وهو يقولُها، فقال النبيُّ ﷺ: «لقد دَخَلَ قلبَ الأعْرابيِّ الإيمانُ»(١).

وقال الحسن: قَدِم صعصعةُ عمُّ الفَرَزْدقِ على النبيِّ ﷺ، فلمَّا سمع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآيات، قال: لا أُبالي ألَّا أسمعَ من القرآن غيرَها، حَسْبي، فقد انتهت الموعظة(٢)؛ ذكره الثعلبيُّ. ولَفْظُ الماورديّ(٣): ورُوي أنَّ صعصعةَ بنَ ناجية جدَّ الفرزدقِ أتى النبيَّ ﷺ يستقرئُه، فقرأ عليه هذه الآيةَ، فقال صعصعةُ: حسبي حسبي؛ إن عَمِلتُ مِثقالَ ذَرَّةٍ [خيراً رأيتُه، وإن عملتُ مثقال ذرةٍ] شَرًّا رأيتُه.

ورَوَى مَعمر عن زيد بن أسلم: أنَّ رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: عَلِّمني ممَّا علَّمك الله. فدَفَعه إلى رجلٍ يعلِّمه، فعلَّمه: «إذا زُلزلت ـ حتى إذا بلغ ـ فَمَن يَعْمَلْ مِثقالَ ذرةٍ خَيراً يَرَه. ومَن يعمل مِثقالَ ذرةٍ شرًّا يَرَه» قال: حسبي. فأُخبر النبيُّ ﷺ فقال: «دَعُوهُ فإنَّه قد فَقُه»(٤).

ويُحكى أنَّ أعرابيًّا أخَّر «خَيْرًا يَرَهُ» فقيل: قدَّمْتَ وأخَّرْتَ. فقال:

خذا بطنَ هَرْشَى أو قَفاها فإنهُ كِلا جانبيْ هَرْشَى لهنَّ طريقُ(٥)

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٢١-٢٢ . وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٤١١)، والحاكم ٣/ ٦١٣ ، والمزي في ترجمة صعصعة بن معاوية من تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٣ - ١٧٤ ، ووقع عندهم: عن الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف ابن قيس، وهو ما صوَّبه ابن الأثير والمزي والحافظ في الإصابة ٥/ ١٤١ - ١٤٢ ، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية، وذكروا له صحبة. وينظر حاشية الحديث في مسند أحمد.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ٣٢١ - ٣٢٢ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨ ، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ١/ ٤٧٢ .

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والكشاف ٤/ ٢٧٦ ، والكلام منه. والخبر أخرجه مطولاً صاحب الأغاني ١٢/ ٢٦١ ، والبيت لعقيل بن عُلَّفة من شعراء الدولة الأموية، كما في الأغاني، وطبقات فحول =

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية.

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسى ابن هلال الصَّدفى ،عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله . قال [١] له : « اقرأ ثلاثا من ذات الر » . فقال له الرجل : كبر سنى واستد [٢] قلبى ، وغَلُظ لسانى . قال : « فاقرأ من ذات [٣] حم » ،فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثا من المسبحات » ، فقال مثل مقالته . فقال الرجل : ولكن أقرئنى ـ يا رسول الله ـ سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً . ثم أدبر الرجل ،فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! » ثم قال : «عَلَىّ به » . فجاءه فقال له : « أمرتُ بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة أنثى فأضحى بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله ، عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائى ، من حديث أبى عبد الرحمن المقرئى [٤] ، به [٥] .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن موسى الحَرَشى البصرى : حدثنا الحسن بن سلْم [٦] بن صالح العجلى ،حدثنا ثابت البُنانى ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:« من قرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ ،عدلَت له بنصف القرآن» . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم [٧] [٨] .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشى ، عن الحسن بن سلم [٩]، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثلث القرآن ، و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعدلُ ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا يزيد بن هارون ،حدثنا يمان بن المغيرة العنزى، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعْدلُ نصف القرآن، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة [١٠] .

---

(١) فى م : « فقال » . (٢) فى م : « واشتد » . (٣) فى أ : « من ذوات » .
(٤) فى أ : « المقبرى » .
(٥) المسند (٢/١٦٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٩) وسنن النسائى (٧/٢١٢) .
(٦) فى أ : « مسلم » . (٧) فى م ، أ : « مسلم » .
(٨) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٣) .
(٩) فى م ، أ : « مسلم » .
(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٤) .

وقال أيضاً : حدثنا عقبة بن مُكَرَّم العَمّى البصرى ، حدثنى ابن أبى فُدَيْك ، أخبرنى سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان؟» قال : لا ، والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج ؟! قال: « أليس معك ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾؟ ». قال: بلى . قال: « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون** ﴾ ؟». قال : بلى . قال : « ربع القرآن ». قال : « أليس معك ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ** ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » تزوج ، [تزوج] [(١)] » . ثم قال : هذا حديث حسن [(٢)] .

تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ أى : تحركت من أسفلها . ﴿ **وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ يعنى : ألقت ما فيها من الموتى .قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحج : ١] ، وكقوله : ﴿ **وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ [الانشقاق : ٣، ٤] .

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ،عن أبى هُرَيرة قال:قال رسول الله ﷺ : « تَقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجىء القاتل فيقول : فى هذا قَتَلْتُ ، ويجىء القاطع فيقول : فى هذا قَطَعتُ رحمى ، ويجىء السارق فيقول : فى هذا قُطِعت يدى ، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً » [(٣)] .

وقوله : ﴿ **وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا** ﴾ أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ أى : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

---

(١) زيادة من سنن الترمذى .

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ــ وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى، واللفظ له : حدثنا سُوَيد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ــ هو ابن المبارك ــ عن سعيد بن أبى أيوب ، عن يحيى بن أبى سليمان ، عن سعيد المقْبُرِى ، عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » (١) .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لَهِيعة : حدثنى الحارث بن يزيد ــ سمع ربيعة الجُرَشى ــ : أن رسول الله ﷺ قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً ، إلا وهى مُخبرة » (٢) .

وقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ : قال البخارى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد (٣). وكذا قال ابن عباس : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أوحى إليها .

والظاهر أن هذا مُضَمَّن [بمعنى] (٤) أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أمرها . وقال القُرَظى : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى : يرجعون عن مواقف الحساب ، ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أى : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السُّدِّى : ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ : فرقا .

وقوله تعالى : ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى : ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا ، من خير وشر . ولهذا قال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنى مالك عن يزيد بن أسلم ، عن أبى صالح السَّمان عن أبى هُرَيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛فأما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طِيَلها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شرَفا أو

(١) المسند (٢/ ٣٧٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٥٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥/ ٦٥) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤١) : « وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » .

(٣) صحيح البخارى (٨/ ٧٢٦) « فتح » .

(٤) زيادة من م ، أ .

شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقَى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا ، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ، فهى له ستر . ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء ، فهى على ذلك وزر » . فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، فقال : « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فَمَن** [١] **يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية ــ عم الفرزدق ــ : أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ ، قال : حسبى ! لا أبالى ألا أسمع غيرها [٣] .

وهكذا رواه النسائى فى التفسير ، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب ، عن أبيه ، عن جرير ابن حازم ، عن الحسن البصرى قال : حدثنا صعصعةُ عم الفرزدق ، فذكره [٤] .

وفى صحيح البخارى ، عن عَدى مرفوعا : « اتقوا النار ولو بِشِقٍّ تمرة ، ولو بكلمة طيبة» [٥] . وفى الصحيح : « لا تَحقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » [٦] . وفى الصحيح أيضاً : « يا نساء [٧] المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة » [٨] يعنى : ظلفها . وفى الحديث الآخر : « ردوا السائل ولو بظلْف مُحرَق» [٩] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ، استترى من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد [١٠] .

ورُوىَ عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة [١١] .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير :

---

(١) فى م ، أ : « من » وهو خطأ .
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٢) وصحيح مسلم برقم (٩٨٧) .
(٣) المسند (٥/ ٥٩) .
(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٤) .
(٥) صحيح البخارى برقم (٧٥١٢) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٦) من حديث أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه .
(٧) فى م : « يا معشر نساء » ، وفى أ : « معشر النساء » .
(٨) صحيح البخارى برقم (٢٥٦٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٩) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٨١) وأبو داود فى السنن برقم (١٦٦٧) والترمذى فى السنن برقم (٦٦٥) من حديث أم بجيد الأنصارية ، رضى الله عنها . وقال الترمذى : « حديث أم بجيد حديث حسن صحيح » .
(١٠) المسند (٦/ ٧٩) .
(١١) هو فى الموطأ (٢/ ٩٩٧) بلاغاً عن عائشة .

حدثنى عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبى ﷺ كان يقول : « يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » .

ورواه النسائى وابن ماجة ، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك ، به(١) .

وقال ابن جرير : حدثنى أبو الخطاب الحسانى ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ فمن (٢) يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إنى أُجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ، ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذَر الخير حتى تُوفَاه يوم القيامة » (٣) .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه [عن] (٤) أبى الخطاب ، به . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ،حدثنا أيوب قال : فى كتاب أبى قِلابة ، عن أبى إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ ،فذكره (٥) .

ورواه أيضاً عن يعقوب ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ،عن أبى قلابة : أن أبا بكر ، وذكره .

طريق أخرى: قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى حُيَى ابن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله ﷺ:« ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكينى هذه السورة . فقال له رسول الله ﷺ: « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر الله لكم ، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»(٦).

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن [محمد بن] (٧) المغيرة ــ المعروف بعلان المصرى ــ قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحرَّانى ، حدثنا ابن لَهيعة ، أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نزلت : ﴿فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يرَهُ . ومن يَعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراًّ يرَهُ ﴾ قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم» . قلت : الصغار الصغار ؟ قال: « نعم » . قلت : وا ثُكلَ أُمى . قال : « أبشر يا سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ــ يعنى إلى

(١) المسند (٦/ ١٥١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٣) .
(٢) فى أ : « من » وهو خطأ .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤١٨) « مجمع البحرين » من طريق أبى الخطاب ، به ، وقال : «لم يروه عن أيوب إلا سِماك ، ولا عنه إلا الهيثم . تفرد به زيادة » . قلت : الهيثم بن الربيع ضعيف .
(٤) زيادة من م ، أ .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٤) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٧١٠٣) والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٨٧) « القطعة المفقودة » من طريق ابن وهب ، به .
(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٥) .
(٧) زيادة من الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ١/ ١٩٥) .

سبعمائة ضعف ـ ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت : ولا أنت يا رسول الله (١) ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة » (٢). قال أبو زُرْعَة : لم يرو هذا غير ابن لَهِيعة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنى ابن لهيعة ، حدثنى (٣) عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان:٨] ، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشىء القليل الذى أعطوه ، فيجىء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشىء . إنما نُؤجَر على ما نعطى ونحن نحبه . وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر . فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ،وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعنى : وزن أصغر النمل ﴿ **خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ يعنى : فى كتابه ،ويَسُرُّه ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة .وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبى عياض ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » . وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صَنِيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود ، والرجل يجىء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأججوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها (٤) .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت »] (٥) [ولله الحمد والمنة] (٦)

---

(١) فى أ : « يا نبى الله » .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٩٤) وعزاه لابن أبى حاتم ،ولآخره شاهد فى الصحيح من حديث أبى هريرة ،رضى الله عنه .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) المسند (١/ ٤٠٢) .

(٥) زيادة من م ، أ .

(٦) زيادة من أ .

/ سورة الزلزلة [٣١٤و]

مختلَف فيها، وهي تسع آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: حُرّكت تحريكًا عنيفًا متكرّرًا متداركًا ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي: الزلزالَ المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهيّة المبنيّة على الحِكم البالغة، وهو الزلزال الشديد الذي لا غايةَ وراءه، أو زلزالَها العجيب الذي لا يُقادَر قَدْره، أو زلزالَها الداخل في حيّز الإمكان. وقُرئ بفتح "الزاء"،[١] وهو اسم، وليس في الأبنية "فَعْلال" بالفتح إلّا في المضاعَف،[٢] وقولُهم: "ناقة خَزْعال" نادرٌ.[٣] وقد قيل: "الزَّلزال" بالفتح أيضًا، مصدر كـ"الوَسواس" و"الجَرجار" و"القَلقال".[٤]

وذلك عند النفخة الثانية لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: ما في جوفها مِن الأموات والدفائن، جمع "ثِقْل"، وهو متاع البيت. وإظهارُ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ في موقع الإضمار لزيادة التقرير، أو للإيماء إلى تبدُّل الأرض غيرَ الأرض، أو لأنّ إخراج الأثقال حالُ بعض أجزائها.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: كلّ فرد مِن أفراده، لِما يدهَمهم مِن الطامّة التامّة ويبهرهم مِن الدّاهية العامّة. ﴿مَا لَهَا﴾ زُلزِلت هذه المرتبة الشديدة مِن الزلزال،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٧.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٣ نقله الجوهري في الصحاح، «خزعل»، عن الفرّاء، وفيه: «ناقة بها خَزعال، أي: ظَلَع».

٤ الكلام في تفسير القرطبي، ١٤٧/٢٠، ونقله عنه ابن عادل في اللباب، ٤٤٥/٢٠.

وأخرجت ما فيها مِن الأثقال، استعظامًا لِما شاهدوه مِن الأمر الهائل، وقد سُيِّرت الجبال في الجوّ وصُيِّرت هباءً. وقيل: هو قول الكافر؛ إذ لم يكن مؤمنًا بالبعث.[١] والأظهر هو الأوّل، على أنّ المؤمنَ يقوله بطريق الاستعظام، والكافرَ بطريق التعجّب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مِن ﴿إِذَا﴾، وقوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ عامل فيهما، ويجوز أن يكون ﴿إِذَا﴾ منتصبًا بمضمر، أي: يوم إذ زُلزِلت الأرض تُحدِّث الخلقَ أخبارَها إمّا بلسان الحال حيث تدلّ دلالةً ظاهرةً على ما لأجله زِلزالُها وإخراجُ أثقالها، وإمّا بلسان المقال حيث يُنطقها الله تعالى فتُخبِر بما عُمل عليها مِن خير وشرّ. ورُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنّها تشهد على كلّ أحد بما عَمِل على ظهرها».[٢] وقُرئ: "تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا"[٣] وقُرئ: "تُنْبِئُ"[٤] مِن الإنباء.

[٣١٤ظ] ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: تُحدِّث أخبارها بسبب إيحاء ربّك لها / وأمرِه إيّاها بالتحديث، على أحد الوجهين، ويجوز أن يكون بدلًا مِن ﴿أَخْبَارَهَا﴾، كأنّه قيل: تحدِّث بأخبارها بأنّ ربّك أوحى لها؛[٥] لأنّ التحديث يُستعمل بـ"الباء" وبدونها، وأوحى لها بمعنى أوحى إليها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذُكر ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن قبورهم إلى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين بحسب طبقاتهم: بيضَ الوجوه آمنين، وسودَ الوجوه فزعين، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ، ١٨/٧٨]. وقيل: يصدرون عن الموقف أشتاتًا: ذات اليمين إلى الجنّة، وذات الشمال إلى النار.[٦] ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أجزية أعمالهم خيرًا كان أو شرًّا. وقُرئ: "لَيَرَوا"[٧] بالفتح.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٢ مسند أحمد، ٤٥٥/١٤ (٨٨٦٧)؛ سنن الترمذي، ٦١٩/٤-٦٢٠ (٢٤٢٩)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٣.

٤ س - "تنبئ". | قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٣.

٥ الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٤/٤.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وقتادة والزّعفراني وحمّاد بن سلمة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٤.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ تفصيل ﴿لِّيُرَوْا۟﴾. وقُرئ: "يُرَهْ".[١] والذرّة: النملة الصغيرة. وقيل: ما يُرى في شعاع الشمس مِن الهَباء.[٢] وأيًا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها مِن خير وشرّ إمّا مشاهدة جزائه، فـ﴿مَن﴾ الأولى مختصّة بالسُّعداء والثانية بالأشقياء، كيف لا، وحسنات الكافر مُحبَطة بالكفر، وسيّئات المؤمن المجتنِب عن الكبائر معفوّة.

وما قيل: مِن أنّ حسنة الكافر تؤثّر في نقص العقاب يردّه قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان، ٢٥/٢٣]. وأمّا مشاهدة نفسه مِن غير أن يعتبَر معه الجزاء ولا عدمه؛ بل يفوِّض كلّ منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنِب عن الكبائر وإثابته لجميع حسناته، وبحبوط حسناتِ الكافر ومعاقبتِه لجميع معاصيه، فالمعنى ما رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «ليس مِن مؤمن ولا كافر عَمِل خيرًا أو شرًّا إلّا أراه الله تعالى إيّاه، أمّا المؤمن فيغفر له سيّئاته ويُثيبه بحسناته، وأمّا الكافر فيردّ حسناته تحسُّرًا ويعاقب بسيّئاته».[٣]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربع مرّات كان كمَن قرأ القرآن كلّه».[٤]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والحسن وزيد بن عليّ وأبان بن عاصم وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٢٠.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٩٤.

٣ جامع البيان للطبري، ٢٤/٥٦٣؛ معالم التنزيل للبغوي، ٨/٥٠٢-٥٠٣.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠/١٤٠ (البينة، ٩٩/١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٥٤٢ (البينة، ٩٩/١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٩٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

ويقال: سورة: إذا زُلْزِلَت. وهي مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، ومدنيةٌ في قول قتادة ومقاتل[1]، واستدلَّ له في «الإتقان» بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: لَمَّا نزلت: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ إلخ قلتُ: يا رسول الله، إني لراءٍ عملي؟ قال: «نعم». قلت: تلك الكبارَ الكبارَ؟ قال: «نعم». قلت: الصغارَ الصغارَ؟ قال: «نعم». قلتُ: وا ثُكلَ أمي. قال: «أبشِر يا أبا سعيد، فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها» الحديث. وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة، ولم يبلغ إلا بعد أُحُد[2].

وآيها ثمان في الكوفي والمدني الأوَّل، وتسعٌ في الباقية[3].

وصحَّ في حديث الترمذيِّ والبيهقيِّ وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ تَعدِل نصفَ القرآن[4]. وجاء في حديثٍ آخر تسميتُها رُبعاً[5].

---

(١) البحر ٨/ ٥٠٠، وورد في هامش الأصل: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة. اهـ. وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٧٩.

(٢) الإتقان ١/ ٤١، والحديث ذكره أيضاً ابن كثير عند تفسير هذه السورة عن ابن أبي حاتم بإسناده، وفيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ، وهشام بن سعد وهو ضعيف.

(٣) ورد هنا في هامش الأصل: اختلافها: ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ [الآية: ٦] غير الكوفي والمدني الأول. اهـ. وهو في مجمع البيان ٣٠/ ٢٠٤.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٤)، وشعب الإيمان (٢٥١٤)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان ضعيف كما في التقريب. وقد أخرج هذا الحديث الترمذي (٢٨٩٣)، والبيهقي في الشعب (٢٥١١) عن أنس أيضاً. وفي إسناده الحسن بن سلم بن صالح العجلي، قال البيهقي: مجهول.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥١٥) عن أنس ﷺ، قال =

ووجه ما في الأول بأنَّ أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة إجمالاً وزادت على «القارعة» بإخراج الأثقال وبحديث الأخبار.

وما في الآخر بأنَّ الإيمانَ بالبعث الذي قرَّرتْه هذه السورةُ ربعُ الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي: «لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُؤمنَ بأربعٍ: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعدَ الموت، ويؤمن بالقدر»[1]. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلَّق بهذا المقام.

وكأنه لَمَّا ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاءَ الفريقَين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرِّك للسؤال عن وقته، فبيَّنه جلَّ شأنه في هذه السورة فقال عزَّ من قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: حُرِّكت تحريكاً عنيفاً متدارِكاً متكرِّراً ﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي: الزلزالَ المخصوصَ بها الذي تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية المبنية على الحِكَم البالغة، وهو الزلزالُ الشديد الذي ليس بعده زلزالٌ، فكأنَّ ما سواه ليس زلزالاً بالنسبة إليه. أو: زلزالَها العجيبَ الذي لا يقادَر قدرُه. فالإضافة على الوجهين للعهد.

ويجوز أن يراد الاستغراقُ؛ لأنَّ زلزالاً مصدرٌ مضافٌ فيعمُّ، أي: زلزالَها كلَّه، وهو استغراقٌ عُرفي قُصد به المبالغة، وهو مرادُ مَن قال[2]: أي: زلزالَها الداخلَ في حيِّز الإمكان، أو عنى بذلك العهدَ أيضاً.

= الترمذي: هذا حديث حسن. اهـ. وفيه سلمة بن وردان، قال البيهقي: ليس بقوي في الحديث.

(١) سنن الترمذي (٢١٤٥)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٥٨)، وهو من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) هو أبو السعود في تفسيره ٨/ ١٨٨.

وقرأ الجحدريُّ وعيسى: «زَلْزَالَها» بفتح الزاي[١]، وهو عند ابن عطية مصدرٌ كالزِّلزال بالكسر[٢]، وقال الزمخشري: المكسورُ مصدرٌ، والمفتوحُ اسمٌ للحركة المعروفة، وانتصب هاهنا على المصدر تجوُّزاً لسدِّه مسدَّ المصدر. وقال أيضاً: ليس في الأبنية فَعْلَالٌ بالفتح إلا في المضاعف[٣].

وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتحُ والكسرُ، إلا أنَّ الأغلب فيه إذا فُتح أن يكون بمعنى اسم الفاعل، كصَلصال بمعنى مُصلصِل، وقَضْقاض بمعنى مُقَضْقِض[٤]، ووَسواس بمعنى مُوَسْوِس. وليس مصدراً عند ابن مالك[٥]. وأما في غير المضاعف فلم يُسمع إلا نادراً سواء كان صفةً أو اسماً جامداً، وبَهْرَام وبَسْطَام معرَّبان إن قيل بصحَّة الفتح فيهما. ومن النادر «خَزْعَال» بمعجمتين، وهو الناقة التي بها ظَلْع، ولم يُثبِت بعضُهم غيرَه. وزاد ثعلب: قَهْقَار[٦]، وهو الحجر الصلب. وقيل: هو جمعٌ. وقيل: هو لغة ضعيفة، والفصيحة: قَهْقَرّ، بتشديد الراء. وزاد آخر: قَسْطالاً[٧]، وهو الغبارُ.

وهذا الزلزال على ما ذهب إليه جمعٌ عند النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾، فقد قال ابن عباس: أي: موتاها[٨]. وقال النقاش والزَّجَّاج ومنذر بن سعيد: أي: كنوزَها وموتاها[٩]. ورُوي عن ابن عباس أيضاً.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٧، والبحر ٨/ ٥٠٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

(٣) الكلام في الكشاف ٤/ ٢٧٥ باختصار.

(٤) القضقاض: الأسد يُقَضْقِضُ فريستَه. والقَضْقَضَةُ: صوت كسر العظام. الصحاح (قضض).

(٥) نقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٨٨، وكلام ابن مالك في «التسهيل» ظاهر في إجازة المصدر، حيث قال ص٢٠٦: ومصدر فَعْلَلَ والملحق به بزيادة هاء التأنيث في آخره، أو بكسر أوله وزيادة ألفٍ قبل آخره. وفَتحُ أول هذا إن كان كالزلزال جائزٌ، والغالب أن يراد به حينئذٍ اسم الفاعل. اهـ. وينظر أوجز المسالك ص٤٣٩.

(٦) تحرف في (م) إلى: قهقاز.

(٧) وزاد في القاموس (خزعل): خرطال. وينظر تاج العروس (خزعل) فثمَّة ألفاظ أخر.

(٨) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٥٩.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

وهذه الكنوزُ على هذا القول غيرُ الكنوز التي تخرج أيامَ الدجال على ما وردت به الأخبار، وذلك بأن تُخرِج بعضاً في أيامه وبعضاً عند النفخة الثانية، ولا بُعدَ في أن تكون بَعد الدجال كنوزٌ أيضاً فتُخرجها مع ما كان قد بقي يومئذٍ.

وقيل: هو عند النفخة الأولى، و«أَثْقَالَها»: ما في جوفها من الكنوز، أو منها ومن الأموات، ويعتبر الوقتُ ممتدًّا.

وقيل: يحتمل أن يكون إخراجُ الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى، وإحياؤها في النفخة الثانية، وتكون على وجه الأرض بين النفختين. وأنت تعلم أنه خلافُ ما تدلُّ عليه النصوصُ.

وقيل: إنها تُزلْزَلُ عند النفخة الأولى فتُخرِج كنوزها، وتُزَلزل عند الثانية فتُخرِج موتاها. وأريد هنا بوقت الزلزال ما يعمُّ الوقتين.

واقتصر بعضهم على تفسير الأثقال بالكنوز مع كون المراد بالوقت وقتَ النفخة الثانية، وقال: تُخرج الأرض كنوزَها يومَ القيامة ليراها أهلُ الموقف، فيتحسَّر العصاةُ إذا نظروا إليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لا تُغني عنهم شيئاً. وفي الحديث: «تُلقي الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأسطوانات من الذهب والفضة، فيجيء القاتلُ فيقول: مِن هذا قَتَلتُ. ويجيء القاطعُ فيقول: في هذا قَطَعتُ رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يَدِي. ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً»(١).

وقيل: إنَّ ذلك لتُكوى بها جباهُ الذين كَنَزوا وجنوبُهم وظهورُهم.

وأيًّاما كان فالأثقال جمعُ ثَقَلٍ بالتحريك، وهو على ما في «القاموس»: متاعُ المسافر، وكلُّ نفيسٍ مَصُون(٢). وتُجوِّز به هاهنا على سبيل الاستعارة عن الثاني.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٣)، والترمذي (٢٢٠٨) عن أبي هريرة ﷺ. وعندهما: «تقيء»، بدل: تُلْقي، ومعناهما واحد. و«الأسطوان»، بدل: الأسطوانات، وكلاهما جمع أسطوانةٍ، وهي السارية والعمود. ينظر الديباج على مسلم للسيوطي ٣/ ٨٥، ومعجم متن اللغة (سطن).

(٢) القاموس (ثقل).

ويجوز أن يكون جمعَ ثِقْل بكسر فسكون، بمعنى حَمْل البطن، على التشبيه والاستعارة أيضاً كما قال الشريف المرتضى في «الدرر»، وأشار إلى أنه لا يُطلَق على ما ذُكر إلا بطريق الاستعارة(١).

ومنهم مَن فسَّر الأثقال هاهنا بالأسرار، وهو مع مخالفته للمأثور بعيدٌ.

وإظهار «الأرض» في موقع الإضمار لزيادة التقرير. وقيل: للإيماء إلى تبديل الأرض غيرَ الأرض. أو لأنَّ إخراج الأثقال حالُ بعض أجزائها.

والظاهر أنَّ إخراجها ذلك مسبَّب عن الزلزال كما يُنفَض البساط ليخرُج ما فيه من الغبار ونحوه، وإنما اختيرت الواوُ على الفاء تفويضاً لذهن السامع. كذا قيل، ولعلَّ الظاهر أنَّه لم تُرَد السببيةُ والمسبَّبية، بل ذُكر كلٌّ مما ذكر من الحوادث من غير تعرُّضٍ لتسبُّبِ شيء منها على الآخر.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: كلُّ فردٍ من أفراد الإنسان لِمَا يَبهَرهم من الطامَّة التامَّة، ويَدْهَمهم من الداهية العامَّة: ﴿مَا لَهَا﴾ تَزلزلت هذه المرتبةَ من الزلزال، وأخرجت ما فيها من الأثقال؟! استعظاماً لِمَا شاهدوه من الأمر الهائل وقد سُيِّرت الجبالُ في الجوِّ وصُيِّرت هباءً.

وذهب غير واحد إلى أنَّ المراد بالإنسان الكافرُ غير المؤمن بالبعث، والأظهر هو الأول على أنَّ المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجُّب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من «إذا»، وقوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ - أي: الأرضُ، واحتمالُ كون الفاعل المخاطَبَ كما زعم الطبرسيُّ(٢) لا وجهَ له - عاملٌ فيهما.

وقيل: العاملُ مضمَر يدلُّ عليه مضمونُ الجمل بعدُ، والتقديرُ: يُحشَرون إذا زلزلت، و«يومئذ» متعلِّقٌ بـ «تُحدِّث»، و«إذا» عليه لمجرَّد الظرفية.

---

(١) أمالي الشريف المرتضى المسماة غرر الفوائد ودرر القلائد ١/ ٩٥.
(٢) في مجمع البيان ٣٠/ ٢٠٧.

وقيل: هي نصبٌ على المفعولية لـ : اذْكُرْ، محذوفاً، أي: اذْكُر ذلك الوقتَ، فليست ظرفيةً ولا شرطيةً.

وجوِّز أن تكون شرطيةً منصوبةً[1] بجوابٍ مقدَّر، أي: يكون ما لا يُدرَك كُنْهه. أو نحوه.

والمراد: يومَ إذ[2] زُلزلت زلزالَها، وأخرجت أثقالَها، وقال الإنسان: ما لها؟ تُحدِّث الخلقَ ما عندها من الأخبار، وذلك بأنَّ يَخلُق الله تعالى فيها حياةً وإدْراكاً وتتكلَّم حقيقةً فتشهد بما عُمِل عليها من طاعة أو معصية. وهو قول ابن مسعود والثوريِّ وغيرهما، ويشهد له الحديثُ الحسنُ الصحيحُ الغريب؛ أخرج الإمام أحمد والترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ثم قال: «أتدرون ما أخبارُها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّ أخبارَها أن تشهد على كلِّ عبد وأَمَة بما عَمِل على ظهرها، تقول: عَمِل يومَ كذا كذا، فهذه أخبارُها»[3].

والباء في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ للسببيَّة، أي: تُحدِّث بسببِ إيحاء ربِّك لها وأمرِه سبحانه إياها بالتحديث، واللام بمعنى «إلى»، أي: أوحى إليها؛ لأنَّ المعروف تَعدِّي الوحْي بها كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] لكن قد يتعدَّى باللام كما في قول العجاج يصف الأرض:

أوحى لها القَرارَ فاستَقرَّتِ وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّتِ[4]

ولعلَّ اختيارَها لمراعاةِ الفواصل.

---

(١) في الأصل و(م): منصوب. والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ٣٨٨، والكلام منه.

(٢) في الأصل و(م): إذا، والمثبت من البحر ٨/ ٥٠٠، والدر المصون ١١/ ٧٤، وتفسير أبي السعود ٩/ ١٨٨.

(٣) مسند أحمد (٨٨٦٧)، وسنن الترمذي (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣). قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب صحيح. اهـ. وفيه يحيى بن أبي سليمان، قال الحافظ في التقريب: لين الحديث.

(٤) ديوان العجاج ص٢٦١، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٠، والبحر ٨/ ٥٠١.

وجوَّز أن تكون اللام للتعليل أو المنفعة؛ لأنَّ الأرض بتحديثها بعمل العُصاة يحصل لها تشفٍّ منهم بفضحها إياهم بذكر قبائحهم، والموحَى إليه هي أيضاً.

والوحي يحتمل أن يكون وحْيَ إلهام، وأن يكون وحْيَ إرسالٍ، بأن يُرسِل سبحانه إليها رسولاً من الملائكة بذلك. وقال الطبري وقوم: التحديثُ استعارةٌ أو مجازٌ مرسَلٌ لمطلق دلالة حالها، والإيحاءُ إحداثُ ما تدلُّ به، فيُحدِث عزَّ وجلَّ فيها من الأحوال ما يكون به دلالةٌ تقوم مقامَ التحديث باللسان، حتى ينظر مَن يقول: ما لها، إلى تلك الأحوال فيَعلم لِمَ زُلزِلت ولم لَفَظت الأمواتَ، وأنَّ هذا ما كانت الأنبياء عليهم السلام يُنذِرونه ويُحذِّرون منه. وما يُعلم هو أخبارُها[١].

وقيل: الإيحاء ـ على تقدير كون التحديث حقيقيًّا أيضاً ـ مجازٌ عن إحداث حالةٍ يُنطِقها سبحانه بها كإيجاد الحياة وقوَّةِ التكلُّم، والأخبارُ على ما سمعتَ آنفاً.

وقال يحيى بن سلام: تُحدِّث بما أخرجت من أثقالها[٢]. ويشهد له ما في حديث ابن ماجه في سننه: «تقول الأرض يومَ القيامة يا ربِّ، هذا ما استودعتَني»[٣].

وعن ابن مسعود: تحدِّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: ما لها، فتُخبر أنَّ أمرَ الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرة قد أتى. فيكون ذلك جواباً لهم عند سؤالهم[٤].

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون المعنى: تُحدِّث بتحديث أنَّ ربك أوحى لها أخبارَها، على أنَّ تحديثَها بأنَّ ربك أوحى لها تحديثٌ بأخبارها، كما تقول: نصحتَني كلَّ نصيحة بأن نصحتَني في الدين[٥]. فأخبارُها عليه هو أنَّ ربَّك أوحى لها. والباءُ تجريديةٌ، مثلها في قولك: لئن لَقِيتَ فلاناً لتَلقَيَنَّ به رجلاً متناهياً في

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٠، والكشاف ٤/ ٢٧٦، والبحر ٨/ ٥٠١.

(٢) البحر ٨/ ٥٠١.

(٣) سنن ابن ماجه (٤٢٦٣) وهو من حديث ابن مسعود ﷺ. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ٣٤٩: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣١٩.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

الخير. وكان الظاهرُ: تُحدِّث بخبرها، بالإفراد، وكذا على ما قبله من الوجهين، لكن جُمع للمبالغة كما يُشير إليه المثالُ، ونحوُه قولُ الشاعر:

فـأنـالَـنـي كـلَّ الـمُـنَـى بـزيـارةٍ كـانـت مـخـالـسـةً كـخِـطـفـة طـائـرِ
فلو استطعتُ [إذاً] خَلَعْتُ على الدُّجى لـتـطـولَ لـيـلـتُـنـا سـوادَ الـنـاظـرِ[1]

ولا يخفى بعدُه. وبالغ أبو حيان في الحطِّ عليه فقال: هو عفش ينزَّه القرآن عنه[2]. وأراد بالعفش ـ بعين مهملة وفاء وشين معجمة ـ: ما يدنِّس المنزلَ من الكناسة، وهي كلمة تستعملها في ذلك عوامُّ أهل المغرب، وليس كما قال.

وجوَّز أيضاً أن يكون (بِأَنَّ رَبَّكَ) إلخ بدلاً من (أَخْبَارَهَا)، كأنه قيل: يومئذٍ تحدِّث بأنَّ ربك أوحى لها؛ لأنك تقول: حدَّثته كذا، وحدَّثته بكذا. فيصحُّ إبدال «بأنَّ» إلخ من «أخبارَها» وأنَّ أحدَهما مجرورٌ والآخرَ منصوبٌ؛ لأنه يحلُّ محلَّه في بعض الاستعمالات، وليس ذلك في الامتناع ـ خلافاً لأبي حيان[3] ـ ك: استغفرتُ الذنبَ العظيمِ، بنصب الذنب وجرِّ العظيم على أنَّه نعتٌ له باعتبار قولهم: استغفرتُ من الذنبِ = لأنَّ البدلَ هو المقصود فهو في قوة عاملٍ آخر، بخلاف النعت. نعم هو أيضاً خلافُ الظاهر.

وبعد كلِّ ذلك اللائقُ أن لا يُعدل عن المأثور، لاسيَّما إذا صحَّ عن رسول الله ﷺ.

بقي هاهنا بحثٌ وهو أنهم اختلفوا في نحو: حدَّثت، هل هو متعدٍّ إلى مفعولٍ واحد أو إلى أكثر، فذهب الزمخشريُّ[4] وغيرُه ـ ونُقل عن سيبويه[5] ـ إلى الثاني، وهو عندهم ملحقٌ بأفعال القلوب، فينصب مفعولين ك: حدَّثتُ زيداً الخبرَ. أو ثلاثةً ك: حدَّثته عَمْراً قائماً. فـ «أخبارها» عليه هو المفعولُ الثاني، والمفعول

---

(١) البيتان في فيض القدير ٢/ ٤٦٣ دون نسبة، وما بين حاصرتين منه.
(٢) البحر ٨/ ٥٠١.
(٣) حيث منع ذلك في البحر ٨/ ٥٠١.
(٤) في الكشاف ٤/ ٢٧٦، وهو قول ابن مالك كما في أوضح المسالك ص٢٢٧.
(٥) كما في حاشية الشهاب ٨/ ٣٨٩.

الأول محذوفٌ كما أشرنا إليه، ولم يُذكر لأنه لا يتعلَّق بذكره غرضٌ إذ الغرض تهويلُ اليوم وأنه مما ينطِق فيه الجمادُ، بقطع النظر عن المحدَّث كائناً مَن كان.

وقال الشيخ ابن الحاجب: إنما هو متعدٍّ لواحد، وما جاء بعده لتعيين المفعول المطلق، فـ «عَمْراً قائماً» في نحو: حدَّثتُ زيداً عَمْراً قائماً، منصوبٌ لوقوعه موقع المصدر، لا لكونه مفعولاً ثانياً وثالثاً، ولا يقال: كيف يصحُّ أن يقع ما ليس بفعلٍ في المعنى - أعني: عمراً قائماً - مصدراً؟ لأنه لم يكن مصدراً باعتبار كونه عمراً قائماً، ولكن باعتبار كونه حديثاً مخصوصاً، فالوجه الذي صحَّح الإخبارَ به عن الحديث إذا قلتَ: حديثُ زيدٍ عمرٌو قائمٌ، هو الذي صحَّح وقوعَه مصدراً، فـ «أخبارها» عليه في موقع المفعول المطلق[1]، والمفعولُ به محذوفٌ؛ لِمَا تقدَّم، بل قال بعضهم: إنك إذا قلتَ: حدَّثتُه حديثاً، أو: خبراً، فلا نزاعَ في أنه مفعولٌ مطلقٌ. والظاهر أنَّ الأخبارَ في زعمه كذلك.

وتعقَّب ذلك في «الكشف» بأنَّ ما ذكره الشيخُ غير مسلَّم، فإنَّه لم يفرِّق بين التحديث والحديث، والأول هو المفعول المطلق، كيف وهو يُجرُّ بالباء فتقول: حدَّثتُه الخبرَ، و: بالخبر؟ ومعلومٌ أنَّ ما دخل عليه الباءُ لا يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً.

وقد يقال: كونُ الشيخ لم يفرِّق في حيِّز المنع، وكيف يخفى مثلُ ذلك على مثله؟ لكنَّه قائلٌ بأنَّ أثر المصدر ومتعلِّقه قد سدَّ مسدَّه فيما ذُكر، كما سدَّ مسدَّه آلتُه في نحو: ضربته سَوْطاً، ولعلَّ ما قرَّره في غير ما دخلته الباء.

وقال الطيبي: يمكن أن يقال: إنَّ حَدَّثَ وأخواتها متعدِّياتٌ إلى مفعولٍ واحد حقيقةً، وجَعْلُها متعدِّياتٍ إلى ثلاثة أو إلى اثنين تجوُّزٌ أو تضمينٌ لمعنى الإعلام. واستأنَسَ له بكلامٍ نقلَه عن «المفصَّل»[2]، وكلامٍ نقله عن صاحب «الإقليد». فتأمَّل.

---

(١) لفظة: المطلق، سقطت من (م).

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٦٥-٦٦.

وقرأ ابن مسعود: «تُنَبِّئُ أَخْبَارَها»[1]، وسعيد بن جبير: «تُنْبِئُ» بالتخفيف[2].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ يقع ما ذُكر، وهو ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يَخرُجون من قبورهم بعد أن دُفنوا فيها إلى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين بحسب طبقاتهم: بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فَزِعين، ورَاكبين وماشين، ومقيَّدين بالسلاسل وغير مقيَّدين.

وعن بعض السلف: مفترقين[3] إلى سعيد وأسعد، وشقيٍّ وأشقى. وقيل: إلى مؤمنٍ وكافرٍ.

وعن ابن عباس: أهلُ الإيمان على حدة، وأهل كلِّ دين على حدة.

وجوِّز أن يكون المرادُ: كلَّ واحدٍ وحدَه لا ناصرَ له ولا عاضدَ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: متفرقين بحسب الأقطار.

﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: ليُبصِروا جزاءَ أعمالهم خيراً أو شرًّا، فالرؤية بصريةٌ، والكلام على حذف مضاف، أو على أنَّه تجوُّزٌ بالأعمال عما يتسبَّب عنها من الجزاء. وقدَّر بعضُهم: كُتُبَ، أو: صَحَائفَ.

وقال آخر: لا حاجةَ إلى التأويل والأعمالُ تجسَّم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيَّتها. وهو كما ترى.

وقيل: المراد: ليعرفوا أعمالَهم ويُوقَفوا عليها تفصيلاً عند الحساب. فلا يحتاج إلى ما ذكر أيضاً.

وقال النقاش: الصدورُ مقابل الورود، فيَرِدُون المحشرَ ويَصدُرون منه متفرِّقين، فقومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار؛ ليُرَوا جزاءَ أعمالهم من الجنة والنار. وليس بذاك.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤، والكشاف ٤/ ٢٧٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٠، والقراءات الشاذة ص١٧٧.
(٣) في (م): متفرقين.

وأيًّاما كان فقوله تعالى: (لِّيُرَوْاْ) متعلِّق بـ «يَصْدُر». وقيل: هو متعلِّق بـ «أوحى لها» وما بينهما اعتراضٌ.

وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهريُّ وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية: «لِيَروا» بفتح الياء[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ تفصيلٌ لـ «يُروا». والذرَّة: نملةٌ صغيرةٌ حمراء رقيقة. ويقال: إنها تجري إذا مضى لها حولٌ. وهي عَلَمٌ في القلَّة؛ قال امرؤ القيس:

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دبَّ مُحْوِلٌ ... من الذرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثَّرا[2]

وقيل: الذرُّ: ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء.

وأخرج هناد عن ابن عباس أنه أدخل يدَه في التراب ثم رفعها، ثم نفخ فيها وقال: كلُّ واحدةٍ من هؤلاء مثقالُ ذرَّةٍ[3].

وانتصابُ «خيراً» و«شرًّا» على التمييز، لأنَّ «مثقالَ ذرَّةٍ» مقدارٌ. وقيل: على البدلية من «مثقال».

والظاهر أنَّ «مَن» في الموضعين عامَّة للمؤمن والكافر، وأنَّ المرادَ من رؤيةِ ما يُعادِل مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ مشاهدةُ جزائه بأن يحصل له ذلك.

واستشكل بأنَّ ذلك يقتضي إثابة الكافر بحسناته وما يفعله من الخير، مع أنهم

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، والبحر ٨/ ٥٠١-٥٠٢، والمشهور عن نافع بضم الياء كقراءة الجماعة.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٦٨. وقد سلف البيت ٢٣/ ٨٩ برواية: الأنف، بدلَ: الإتب. وجاء في هامش الأصل: الإِتب بالكسر: بُرْدٌ يشَقُّ فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمَّين، ودرعُ المرأة، وما قصر من الثياب فنَصَفَ الساقَ، أو سراويل بلا رجلين، أو قميص بلا كمين. اهـ. وهو منقول من القاموس (أتب). والمُحْوِل: الذي أتى عليه الحول. القاموس (حول).

(٣) الزهد لهناد بن السري (١٩٣).

قالوا: أعمالُ الكَفَرَة مُحبَطة. وادَّعى في «شرح المقاصد» الإجماعَ على ذلك[1]، كيف وقد قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ الآية [إبراهيم: ١٨]؟ وكونُ خيرهم الذي يرونه تخفيفَ العذاب يدفعه قولُه تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٨٦] وقولُه سبحانه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] ويقتضي أيضاً عقابَ المؤمن بصغائره إذا اجتنب الكبائرَ، مع أنهم قالوا إنها مكفَّرةٌ حينئذٍ؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقول ابن المنير[2]: إنَّ الاجتنابَ لا يوجب التكفيرَ عند الجماعة، بل التوبةُ أو مشيئةُ الله تعالى = ليس بشيء؛ لأنَّ التوبة والاجتنابَ سواءٌ في حكم النصِّ، ومشيئةُ الله تعالى هي السببُ الأصيل.

فالتزم بعضُهم كونَ المراد بـ «مَن» الأولى السعداءُ، وبـ «من» الثانية الأشقياءُ، بناءً على أنَّ (فَمَن يَعْمَلْ) إلخ تفصيلٌ لـ (يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا) وكان مفسَّراً بما حاصله: فريق في الجنة وفريق في السعير، فالمناسب أن يرجع كل فقرةٍ إلى فرقة ليطابق المفصَّلُ المجملَ، ولأنَّ ظاهرَ قولِه سبحانه: (فَمَن يَعْمَلْ) (وَمَن يَعْمَلْ) بتكرير أداة الشرط يقتضي التغايُرَ بين العامِلين.

وقال آخرون بالعموم، إلا أنَّ منهم مَن قال: في الكلام قيدٌ مقدَّر تُرك لظهوره والعلم به من آياتٍ أُخَر، فالتقدير: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إن لم يُحبَط، ومن يعمَلْ مثقالَ ذرة شرًّا يره إن لم يكفَّر. ومنهم مَن جعلَ الرؤية أعمَّ مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة، فالكافر يرى جزاءَ خيرِه في الدنيا وجزاءَ شرِّه في الآخرة، والمؤمن يرى جزاءَ شرِّه في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة، فقد روى البغويُّ وابن جرير وابن المنذر وغيرُهم عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: فمن

---

(١) ينظر شرح المقاصد ٥/١٤٣.

(٢) في الانتصاف ٤/٢٧٧.

يعمل مثقالَ ذرَّة من خيرٍ وهو كافرٌ فإنه يرى ثوابَ ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله، حتى يبلغَ الآخرة وليس له فيها خير، ومَن يعمل مثقال ذرَّةٍ من شرٍّ وهو مؤمن كُوفِئَ ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله، حتى يبلغ الآخرةَ وليس عليه فيها شرٌّ[(١)].

وأخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» وابن أبي حاتم وجماعة عن أنس قال: بينما أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأكل مع النبيِّ ﷺ إذ نزلت عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية، فرفع أبو بكر يدَه وقال: يا رسول الله، إني لراءٍ ما عملتُ من مثقال ذرَّةٍ من شرٍّ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا بكر، أرأيتَ ما ترى في الدنيا مما تكره فَبِمَثاقيل ذَرِّ الشرِّ، ويُدَّخَرُ لك مثاقيلُ ذرِّ الخير حتى تُوفَّاه يومَ القيامة»[(٢)].

وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب أنَّه ﷺ قال له إذ رفع يَده: «مَن عَمِل منكم خيراً فجزاؤه في الآخرة، ومَن عَمِل منكم شرًّا يره في الدنيا مصيباتٍ وأمراضاً، ومَن يكن فيه مثقالُ ذرة من خيرٍ دَخَل الجنة»[(٣)].

ومنهم من قال: المراد مِن رؤيةِ ما يُعادِل ذلك من الخير والشرِّ مشاهدةُ نفسه من غيرِ أن يُعتبر معه الجزاءُ ولا عدمُه، بل يُفوَّض كلٌّ منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفوِ صغائر المؤمن المجتنِب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته، وبحبوط

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٤، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١، وهو في تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٨٨.

(٢) المعجم الأوسط (٨٤٠٢)، وشعب الإيمان (٩٨٠٩)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وغيرهم السيوطي في الدر ٦/ ١٨٠، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٤-٥٦٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٢-٥٣٣ وصححه، وهو مرسل كما قال الذهبي في التلخيص.

(٣) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١، وفيه أن الذي أمسك يده عن الطعام هو رسول الله ﷺ، ليس أبا بكر. وجاء في هامش الأصل: وفي رواية لابن مردويه عن أبي إدريس الخولاني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. اهـ. وهو في الدر المنثور ٦/ ٣٨١.

حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه. وبه يُشعر ما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس من قوله في الآية: ليس مؤمنٌ ولا كافرٌ عَمِل خيراً وشرًّا في الدنيا إلا أراه الله تعالى إياه، فأمَّا المؤمن فيرى حسناتِه وسيئاتِه، فيَغفِر له من سيئاته ويُثيبه بحسناته، وأما الكافر فيُرِيه حسناتِه وسيئاتِه فيردُّ حسناتِه ويعذِّبه بسيئاتِه(١).

واختار هذا الطيبيُّ فقال: إنه يُساعده النظمُ والمعنى والأسلوب:

أمّا النظم: فإنَّ قوله تعالى: (فَمَن يَعۡمَلۡ) إلخ تفصيلٌ لِمَا عقِّب به من قوله سبحانه: (يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ)، فيجب التوافق، والأعمالُ جمعٌ مضافٌ يُفيد الشمولَ والاستغراقَ، و(يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ) مقيَّدٌ بقوله عز وجل: (أَشۡتَاتٗا) فيُفيد أنهم على طرائقَ شتَّى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة، ومن ثَمَّ كانت الجنة ذاتَ درجات والنارُ ذاتَ دَرَكات.

وأمَّا المعنى: فإنها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الأعمال والجزاء عليها كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما الأسلوب: فإنها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلاً وفرعاً؛ روينا عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة: سُئِل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ـ أي: عن صدقتها ـ قال: «لم ينزل عليَّ فيها شيءٌ إلا هذه الآية الجامعة الفاذَّة» ـ أي: المتفرِّدة في معناها ـ فتلاها عليه الصلاة والسلام(٢).

وروى الإمام أحمد(٣) عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ،

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٣، والبعث والنشور (٥٩)، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١.

(٢) صحيح البخاري (٢٣٧١)، وصحيح مسلم (٩٨٧)، وقد رواه أيضاً مالك ٢/ ٤٤٤، وأحمد (٧٥٦٣)، والنسائي ٦/ ٢١٦-٢١٧.

(٣) جاء في هامش الأصل: ورواه أيضاً النسائي والطبراني وابن المبارك في الزهد وغيرهم. اهـ منه.

فقرأ عليه الآيةَ، فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمعَ من القرآن غيرَها[(١)]. انتهى.

وأقول: الظاهر عمومُ «مَن» وكونُ المراد رؤيةَ الجزاء كما تقدَّم، وكذا الظاهرُ كونُ ذلك في الآخرة ولا إشكال، وذلك لأنَّ الفقرة الأولى وعدٌ، والثانية وعيدٌ، ومذهبنا أن الوعد لازمُ الوقوع تفضُّلاً وكرماً، والوعيد ليس كذلك، فيفوَّضُ أمر الشرِّ في الثانية على الدلائل، وهي ناطقةٌ بأنه إن كان كفراً لا يُغْفر، وإن كان صغيرةً مِن مؤمنٍ مجتنِبِ الكبائر يكفَّر، وإن كان كبيرةً من مؤمنٍ أو صغيرةً منه وهو غيرُ مجتنبِ الكبائر فَتَحْتَ المشيئةِ، وخبرَا أنسٍ وأبي أيوب السابقان لا يأبيان ذلك بعد التأمُّل، ولا يبعُد فيما أرى أن يكون ما عدا الكُفْرَ من الكافر كذلك.

وأما أمرُ الخير فباقٍ على ما يقتضيه الظاهر وهو بالنسبة إلى المؤمن ظاهر، وأما بالنسبة إلى الكافر فتخفيفُ العذاب؛ للأحاديث الصحيحة؛ فقد ورد أنَّ حاتماً يخفِّف الله تعالى عنه لكرمه[(٢)]، وأنَّ أبا لهب كذلك لسروره بولادة النبيِّ ﷺ وإعتاقِه لجاريته ثُوَيبةَ حين بشَّرته بذلك[(٣)]، والحديثُ في تخفيف عذاب أبي طالب

(١) مسند أحمد (٢٠٥٩٣)، وسنن النسائي الكبرى (١١٦٣٠)، والمعجم الكبير (٧٤١١)، والزهد لابن المبارك (٨٠)، والمستدرك ٣/ ٦١٣. وجاء عند ابن المبارك: عم الفرزدق أو جدُّه. وعند الطبراني والحاكم: عم الأحنف بن قيس، وهو ما صوَّبه ابن الأثير في أُسْد الغابة ٣/ ٢١-٢٢، والمزيُّ في تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٤-١٧٥، والحافظ في الإصابة ٥/ ١٤١-١٤٢. وذكروا أنه ليس للفرزدق عمٌّ اسمه صعصعة، ولكن جده صعصعة بن ناجية، وهو صحابي.
وجاء في هامش الأصل: وفي رواية لابن المبارك وعبد الرزاق عن الحسن: أنه سمعها لما نزلت رجلٌ من المسلمين فقال: انتهت الموعظة. اهـ منه. وهو في الزهد لابن المبارك (٨٢)، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨.

(٢) ذكر أحمد بن غنيم النفراوي في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/ ٨١ أنه لما أسلم عدي بن حاتم قال له رسول الله ﷺ: «إن الله رفع عن أبيك العذاب الأليم بسبب سخائه». اهـ. ولم نقف عليه في كتب الحديث. وجاء في حديث لابن عباس: «إن الله تعالى يأمر بالكافر السخي إلى جهنم، فيقول لمالك خازن جهنم: عذِّبه، وخفِّف عنه العذابَ على قدر سخائه الذي كان في دار الدنيا». مسند الفردوس (٥٥٤)، وعزاه في كنز العمال (١٦٢١١) لأبي الشيخ في «الثواب».

(٣) أخرج البخاري (٥١٠١) عن عروة قال: وثويبة مولاة أبي لهب، كان أبو لهب أعتقها، =

مشهور[١]، وما يدلُّ على عدم تخفيف العذاب فالعذابُ فيه محمولٌ على عذاب الكفر بحسب مراتبه، فهو الذي لا يخفَّف، والعذابُ الذي دلَّت الأخبارُ على تخفيفه غيرُ ذلك.

ومعنى إحباط أعمال الكفار أنها لا تُنجيهم من العذاب المخلَّد كأعمال غيرهم، وهو معنى كونها سراباً وهباءً، ودعوى الإجماع على إحباطها بالكلية غيرُ تامَّةٍ، كيف وهم مخاطَبون بالتكاليف في المعاملات والجنايات اتفاقاً، والخلافُ إنما هو في خطابهم في غيرها من الفروع، ولا شكَّ أنه لا معنى للخطاب بها إلا عقاب تاركها وثواب فاعلها، وأقلُّه التخفيف، وإلى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي عليه الرحمة[٢]، ثم قال:

وما في «التبصرة»[٣] و«شرح المشارق» و«تفسير الثعلبي» من أنَّ أعمالَ الكَفَرَة الحسنة التي لا يشترط فيها الإيمانُ كإنجاء الغريق وإطفاء الحريق وإطعام ابن السبيل يُجزَون عليها في الدنيا ولا تُدَّخر لهم في الآخرة كالمؤمنين بالإجماع؛ للتصريح به في الأحاديث، فإن عَمِل أحدُهم في كفره حسناتٍ ثم أسلم اختلف فيه: هل يُثاب عليها في الآخرة أم لا؟ بناءً على أنَّ اشتراطَ الإيمان في الاعتداد بالأعمال وعدم إحباطها هل هو بمعنى وجود الإيمان عند العمل، أو وجودِه ولو بعدُ؛ لقوله ﷺ في الحديث: «أسلمتَ على ما سَلَفَ لك من خير»[٤] = غير مسلَّم، ودعوى الإجماع فيه غيرُ صحيحة؛ لأنَّ كون وقوع جزائهم في الدنيا دون الآخرة كالمؤمنين مذهبٌ لبعضهم. وذهب آخرون إلى الجزاء بالتخفيف، وقال الكرماني:

= فأرضعت النبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَه بعضُ أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ، قال له: ماذا لقيتَ؟ قال أبو لهب: لم ألقَ بعدكم غير أني سُقيت في هذه بِعَتَاقَتي ثُويبة. اهـ. وزاد في رواية عبد الرزاق (١٣٩٥٥): وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه.

(١) ينظر في ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠). وحديث ابن عباس عند مسلم (٢١٢).

(٢) في حاشيته على تفسير البيضاوي ٨/ ٣٩٠.

(٣) لعله تبصرة الأدلة في علم الكلام لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفى (٥٠٨هـ). كشف الظنون ١/ ٣٣٧.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٠) عن حكيم بن حزام ﷺ.

إنَّ التخفيف واقعٌ لكنه ليس بسبب عملهم، بل لأمرٍ آخر كشفاعة النبيِّ ﷺ ورجائه. ومنه ما يكون لأبي لهب كما قال الزركشيُّ(١). انتهى.

ولقائل أن يقول: إنَّ الشفاعةَ من آثار عَمَل المشفوعِ الخيرَ أيضاً. فتأمَّل.

وسبب نزول الآية على ما أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه لَمَّا نزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشيء القليل إذا أَعْطَوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلُّون أن يعطوه التمرة والبسرةَ، فيردُّونه ويقولون: ما هذا بشيء، إنما نُؤجَر على ما نعطي ونحن نحبُّه. وكان آخرون يَرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله تعالى النارَ على الكبائر. فنزلت الآية تُرغِّبهم في القليل من الخير أن يعملوه، وتحذِّرهم اليسيرَ من الشرِّ أن يعملوه(٢). وفيها من دلالة الخطاب ما لا يخفى، وقد كان الصحابة ﷺ بعدها يتصدَّقون بما قلَّ وكثر؛ فقد رُوي أنَّ عائشة ﵂ بعث إليها ابنُ الزبير بمئة ألفٍ وثمانينَ ألفَ درهم في غرارتين، فدَعَت بطبقٍ وجعلت تَقسمها بين الناس، فلما أمست قالت لجاريتها: هَلُمِّي. وكانت صائمةً، فجاءت بخبزٍ وزيت، فقالت: ما أمسكتِ لنا درهماً نشتري به لحماً نفطر عليه. فقالت: لو ذكَّرتيني لفعلتُ(٣).

وجاء في عدَّة روايات أنها أعطَت سائلاً يوماً حبَّة من عنبٍ، فقيل لها في ذلك، فقالت: هذه أثقل من ذرٍّ كثيرٍ. ثم قرأت الآية(٤). ورُوي نحوُ هذا عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك ﷺ(٥)، وكان غرضُهم تعليمَ الناس أنَّه

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٣٩٠، وينظر شرح البخاري للكرماني ٢٥/ ٥٥.

(٢) عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١.

(٣) أخرجه هناد في الزهد (٦١٩)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٧.

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٤٩٠، والبيهقي في الشعب (٣٤٦٦).

(٥) أخرجه عن عمر ﵁ عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٢. وأخرجه عن عبد الرحمن بن عوف ﵁ أبو عبيد في الأموال (٩٠٨)، والبيهقي في الشعب (٣٤٦٧). وأخرجه عن سعد ﵁ أبو عبيد في الأموال (٩٠٩).

لا بأسَ بالتصدُّق بالقليل، ولهم بذلك أسوةٌ برسول الله ﷺ فقد أخرج الزجاجي في أماليه عن أنس بن مالك أنَّ سائلاً أتى النبيَّ ﷺ فأعطاه تمرةً فقال السائلُ: نبيٌّ من الأنبياء يتصدَّق بتمرة؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «أما علمتَ فيها مثاقيلُ ذرٍّ كثيرةٍ»(١).

وجاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: «اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ» ثم قرأ الآية(٢).

وتقديم عمل الخير لأنَّه أشرفُ القسمين، والمقصود بالأصالة لا يخفى حسنُ موقعه، ويُعلم منه أنَّ هذا الإحصاء لا ينافي كرمَه عز وجل المطلق، وما يُحكى من أنَّ أعرابيًّا أخَّر ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ فقيل له: قدَّمتَ وأخَّرتَ. فقال:

خُذا بطنَ هَرشى أو قَفاها فإنَّه ... كِلا جانِبَيْ هَرشَى لهنَّ طريقُ(٣)

فغفلةٌ عن اللطائف القرآنية، أو لعلَّه أراد أنه فيما يتعلَّق بالعمل لا بأسَ به قُدِّم أو أُخِّر، لا أنَّ القراءةَ به جائزة.

وقرأ الحسين بن علي ـ على جدِّه وعليهما الصلاة والسلام ـ وابن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي وأبو حيوة والكلبي وخليد بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائيُّ في روايةِ حميد بن الربيع عنه: «يُرَه» بضم الياء في الموضعين(٤).

---

(١) عزاه للزجاجي السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٢-٣٨٣، ولم نقف عليه في أماليه. وقد أخرجه البيهقي في الشعب (٩١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقد سلف ٤/٤٤٨. وليس فيه ذكر قراءة الآية. ورواية المصنف أخرجها ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٢ من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: ثم قرأت، بدل: ثم قرأ.

(٣) أخرجه الأصبهاني في الأغاني ١٢/ ٢٦٠-٢٦١ عن عقيل بن عُلَّفة من شعراء الدولة الأموية. وهو في القراءات الشاذة ص١٧٧، والكشاف ٤/ ٢٧٦. وهَرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضعٍ واحد. معجم البلدان (هرش). والشطر الثاني من البيت مَثَلٌ يُضرب للأمرين يستويان من أيِّ مأخذٍ أخذتَهما. قاله الأصمعي كما في جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٨.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٢.

وقرأ هشام وأبو بكر: «يَرَهْ» بسكون الهاء فيهما[١]. وأبو عمرو بضمها مُشبَعةً، وباقي السبعة بالإشباع في الأول والسكون في الثاني[٢]. والإسكانُ في الوصل لغةٌ حكاها الأخفش ولم يَحكها سيبويه، وحكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل[٣].

وقرأ عكرمة: «يراه» بالألف فيهما[٤]، وذلك على لغةِ مَن يرى الجزمَ بحذف الحركة المقدَّرة على حرف العلة كما حكى الأخفش، أو على ما يقال في غير القرآن من تَوهُّم أنَّ «مَن» موصولةٌ لا شرطيةٌ، كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾ [يوسف: ٩٠] في قراءةِ مَن أثبت ياءَ «يَتَّقي» وجَزَمَ (وَيَصۡبِرۡ)[٥]. وجُوِّز أن تكون الألف للإشباع، والوجه الأول أولى. والله تعالى أعلم.

---

(١) التيسير ص٢٢٤، والنشر ١/ ٣١١ عن هشام، والكلام من البحر ٨/ ٥٠٢.

(٢) البحر ٨/ ٥٠٢، وفي التيسير ص٢٢٤، والإتحاف ص٥٩٤، والبدور الزاهرة ص٣٤٦ أن قراءة السبعة سوى هشام عن ابن عامر بضم الهاء موصولة بالواو وصلاً، وبإسكانها وقفاً، وقال السمين في الدر المصون ١١/ ٧٧-٧٨: وسكون الثانية لأجل الوقف على آخر السورة غالباً، أما لو وصلوا آخرها بأول «العاديات» كان الحكم الإشباع. هذا مقتضى أصولهم، وهو المنقول.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والبحر ٨/ ٥٠٢.

(٤) البحر ٨/ ٥٠٢.

(٥) هي قراءة قنبل عن ابن كثير كما في التيسير ص١٣١، وهي على توهُّم أن «مَن» شرطية لا موصولة، فجُزِمَ «ويصبرْ» عطفاً على التوهُّم. البحر ٨/ ٥٠٢، وعنه نقل المصنف.